

ولا تبرم، بل متعة نفسية وغذاء روحي، وربما انصرم الوقت الطويل فلا يشعران به، بل يستطيبان هذه الغفوة من الزمن وقد نامت عنهما الأحداث والمحن، يوضح لكم ذلك الشعر الذي منه الشطر والأسباب التي دعت إليه.

ورد في الأغاني: " وكان أول ما علق بثينة أنه أقبل يوما بأبله حتى أوردها واديا يقال له بغيض، فاضطجع وأرسل أبله مصعدة، وأهل بثينة بذنب الوادي، فأقبلت بثينة وجارية لها واردتين الماء، فمرتتا على فصال له بروك فعرمتهن بثينة (نفرتهن) وهي إذ ذاك جويرية صغيرة، فسبها جميل، فافترت عليه، فملح إليه سبابها فقال:

وأول ما قاد المودة بيننا بوادي بغيض يا بثيثن سباب
وقلنا لها قولا فجاءت بمثله لكل كلام يا بثيثن جواب (1)

ذلك التلاقي الذي أتيح لهما عرضا كان مبعث هوى جميل العذرى ملك عليه مشاعره طيلة عمره إلى أن قضى نحبه، ولقى ربه.

نعم إنه يجمّل أن استطرّد إلى حديث جميل عن نفسه قرب احتضاره، مما جعله في مصاف الأعفة المستعصمين، واستمطر الترحم عليه من العائدين. وإن لم يك ذلك الاستطراد في جوهر الرد عليكم - في وفيات الأعيان: " قال عباس بن سهل الساعدي: بينا أنا بالشام إذ لقيني رجل من أصحابي، فقال هل لك في جميل - فإنه يعتل - نعوذه. فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه، فنظر إلى وقال: يا بن سهل ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قد ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق، يشهد أن لا إله إلا الله، قلت: أظنه قد نجا وأرجو له الجنة، فمن هذا الرجل؛ قال أنا، قلت له: والله ما أحسبك سلمت وأنت تشيب منذ عشرين سنة ببثينة، قال: لا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم، وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت

(1) الأغاني أخبار جميل 8: 98 طبع الدار.